



دينامية بناء الملفوظ الوظيفي: دراسة في تراتبية البنى (الحملية، الوظيفية، المكونية)

The Dynamics of Functional Utterance Construction :A Study in the Hierarchy of Structures (Predicative, Functional, and Constituent)

جامعة خنشلة (الجزائر) chamam.nassima@univ-khenchela.dz	نَسِيْمَة شَمَام
---	------------------

تاريخ الإرسال: 2026/04/11	تاريخ القبول: 2026/04/15
---------------------------	--------------------------

الملخص:

تروم هذه الدراسة استقصاء ميكانيزمات توليد البنية اللغوية ضمن برادائم النحو الوظيفي، حيث يتم فحص التفاعل العضوي بين الخصائص النسقية والمقاصد التخاطبية، إذ يسعى البحث إلى تجاوز المقاربات الصورية المغلقة عبر تبني رؤية إبستمولوجية ترفض الفصل بين الدلالة والاستعمال، مُعدّة إياهما محددين متلازمين للقيمة التداولية للملفوظ، وينصب التحليل بشكل دقيق على تتبع المسار الاشتقاقي للملفوظ انطلاقاً من الخزينة، مُحلّلاً محطات الانتقال من البنية الحملية (النواة الدلالية) إلى البنية الوظيفية، وصولاً إلى الإنجاز في البنية المكونية، كما تسلط الدراسة الضوء على العمليات الإدراكية والقيود الصرفية والصوتية التي تضمن تحقيق الكفايات الثلاث: النفسية والتداولية والنمطية، بما يكفل نجاعة التواصل البشري.

الكلمات المفتاحية: نحو وظيفي؛ بنية حملية؛ وظائف تداولية؛ إنجاز مكوني؛ كفاية تواصلية.

Abstract:

This study investigates the mechanisms of linguistic structure generation within the framework of Functional Grammar (FG), examining the organic intersection between systemic properties and communicative intentions. The research aims to transcend formalist constraints by adopting an epistemological perspective that integrates



semantics and pragmatics, viewing usage and significance as inseparable determinants of an utterance's value. Central to this analysis is the tracing of the derivational path of the utterance, beginning from the Fund and transitioning through three fundamental levels: from Predication (the semantic core) to Functional Structure, and finally to Constituent Expression. Furthermore, the study elucidates the cognitive processes and morpho-phonological constraints that ensure the fulfillment of the three standards of adequacy: psychological, pragmatic, and typological, thereby guaranteeing the efficacy of human communicative competence.

Key words: Functional Grammar; Predication; Pragmatic Functions; Constituent Expression; Communicative Adequacy.



شهدت الساحة اللسانية المعاصرة في الربع الأخير من القرن العشرين تحولاً براديمياً مفصلياً ببرز النحو الوظيفي كبديل نظري متكامل للمقاربات الصورية المغلقة.

وتضرب جذور هذا الاتجاه في مرجعيات مدرسة أمستردام بزعامة اللساني الهولندي سيمون ديك (Simon Dik)، الذي أرسى عام 1978م القواعد التأسيسية لنظام لغوي يزوج بين النمذجة الرياضية والمرونة الوظيفية، ولم يقف هذا المشروع عند تخوم القارة الأوروبية، بل انتقل إلى الفضاء العلمي العربي، حيث اضطلعت مدرسة الرباط بجامعة محمد الخامس بمهمة ريادية في توطين هذا النموذج وتطويره عبر الترجمة والاجتهاد النظري ليشمل الأنساق اللغوية العربية، وهو ما أدى إلى تبلور مراكز بحثية فاعلة في المغرب والجزائر وتونس وغيرها.

يرتكز النحو الوظيفي على منطلقات فلسفية تباين الأطروحات التوليدية، ويمكن اختزال مقوماته الجوهرية في المبادئ الآتية:

- أسبقية التواصل: النظر إلى اللغة بوصفها أداة للنشاط الاجتماعي والتواصل البشري، لا مجرد نسق من القواعد الذهنية المجردة.

- الوصف الكفائي: السعي نحو توصيف القدرة التواصلية في شموليتها، بما يتضمن طاقة المتكلم الإبداعية وقدرة السامع على التأويل التداولي.

- الهيمنة التداولية: إخضاع المستويين التركيبي والدلالي للمتطلبات المقامية؛ فالبناء الجملي ليس غاية في ذاته بل استجابة لضرورات التواصل.

- معايير الكفاية المنهجية: يلتزم النموذج بتحقيق ثلاث كفايات أساسية هي: الكفاية النفسية (مطابقة العمليات الذهنية)، والكفاية التداولية (ملاءمة السياق)، والكفاية النمطية (تفسير الجوامع اللغوية).

من أجل ذلك، يروم هذا المقال تسليط الضوء على الآليات الجوهرية المحركة للنحو الوظيفي من خلال المحاور الآتية:

- الماهية الوظيفية: ضبط المفهوم الإستمولوجي للنحو الوظيفي كنسق لساني تفاعلي.



- تشريح البنية : رصد التراتبية البنيوية وتفكيك ميكانيزمات الانتقال من الحمل إلى الوظائف وصولا إلى الإنجاز المكوّن.

وتتجسد الغاية النهائية لهذا العمل في الكشف عن الحملات الاصطلاحية الجديدة التي ضخمها هذا الفكر في الدرس اللساني، مع تبني مقارنة موازنة تستنطق نقاط التقاطع والتمايز بين الجهاز المفاهيمي الوظيفي الحديث وبين موروثنا في النحو العربي التقليدي.

(1) | تعريف النحو الوظيفي Functional Grammar

لا يمكن ضبط ماهية النحو الوظيفي بمعزل عن منطلقاته الإستمولوجية التي ترى أن اللغة نشاط اجتماعي قبل أي شيء، فالبحث في هذا النحو استكشاف للمنطق الذي يُسخر البنية لخدمة التواصل.

فيرى سيمون ديك أنه : " على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات ، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي ، يعني هذا أنه يجب ألا نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة ، بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدده العبارات السابقة ، وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب"¹

يُعد تعريف سيمون ديك -الذي أورده أحمد المتوكل- حجر الزاوية في فهم فلسفة النحو الوظيفي، حيث ينقل اللغة من كونها قالبا جامدا إلى أداة حيوية.

- فاللغة عنده نشاط استكشافي للاستعمال

يرفض سيمون ديك أن يكون دور النحوي هو وصف شكل الجملة : مبتدأ، خبر، فعل ... بل يرى أن مهمة النحوي هي البحث في الاجابة على سؤال : لماذا صيغت الجملة بهذا الشكل؟.



فالخصائص اللغوية مثل تقديم كلمة أو تأخيرها ليست اعتبارات ، بل هي مرتبطة بكيفية استعمالنا للغة في الواقع، أي كلما تغير المعنى الذي نقصده في الواقع قابله تغير في شكل الجملة تركيبيا رتبةً وحذفًا...

- تجاوز الموضوعات المنعزلة : يؤكد سيمون ديك على عدم التعامل مع العبارات ككيانات مخبرية معزولة، ففي النحو الصوري جملة : أكل زيد التفاحة. مكونة من فعل +فاعل +مفعول به، أما في النحو الوظيفي فلا يمكن فهم هذه الجملة إلا إذا عرفنا: من قالها؟ ولمن؟ ولماذا؟.

- ثنائية السياق والمقام :يشير سيمون ديك إلى أن المعنى يُستمد من وسيطين: السياق اللساني : العبارات التي سبقت الجملة الحالية .

المقام التخاطبي :الظروف الخارجية المحيطة بالمتكلم والسامع مثل : الزمان والمكان والخلفية المعرفية،مثلا :لو أخذنا عبارة: الباب مفتوح. وننظر لها حسب المقام: فإن كان المقام - مقام ترحيب :إذا كان المتكلم ينتظر ضيفًا، فإن عبارة الباب مفتوح تعني تفضل بالدخول. - مقام تنبيه :كأن يكون الجو باردا، فإن العبارة تعني :أغلق الباب من فضلك. - مقام تحذير :إذا كان الكلام موجها لشخص يحاول إخفاء سر، فإن العبارة تعني : هناك من يتسمع إلينا.

إذن إنتاج اللغة وفهمها لا يتمان إلا في إطار تداولي، فعلى المستمع استيعاب المقام الذي قيلت فيه الكلمات ليصل إلى القصد الحقيقي للمتكلم، وبذلك تصبح البنية اللغوية أداة طيعة تتشكل وفق أهداف التواصل.

وذهب أحمد المتوكل إلى أن النحو الوظيفي يتجاوز المقاربات الاختزالية التي تحصر الظاهرة اللغوية في أبعادها الشكلية أو الأدوار التركيبية المحضة ،مثل الفاعلية والمفعولية، فاللغة من منظوره نسق متكامل تتضافر فيه هذه الأدوار مع مستويات أخرى دلالية وتداولية مقامية وتبليغية، وبناءً عليه تصبح الخصائص البنوية للملفوظات مرتبطة ارتباطا عضوياً بمقاصد المتكلمين وأهدافهم التواصلية، حيث تعمل اللغة كأداة طيعة تُسخرُ قوالها الصرفية والتركيبية لخدمة الأغراض التبليغية في سياقاتها الواقعية²



انطلق أحمد المتوكل في هذا التعريف من نقد النحو التقليدي أو البَنوي الذي يحصر اهتمامه في الوظائف التركيبية فاعل، مفعول، مبتدأ، ورأى أن هذا النحو قاصر، لأنه ينظر إلى اللغة كآلة مفككة فالفاعل والمفعول هما أدوات لخدمة غايات أُسمى، إضافة إلى أنه يؤكد على مفهوم التضافر، فاللغة تتألف من ثلاثة مستويات تشتغل في آن واحد:

- المستوى التركيبي: من يفعل ماذا؟ فاعل، مفعول.
- المستوى الدلالي: ما الدور المنطقي؟ منفذ، مستفيد، أداة.
- المستوى التداولي: لماذا نقول ذلك؟ وما سياق الكلام؟ مبتدأ بؤرة، خبر ذيل، معلومة قديمة، معلومة جديدة...

كما ويشير في التعريف أيضا إلى فكرة أساسية مفادها أن البنية تتبع الغرض، فنحن نختار الفاعل أو المفعول بناءً على الغرض التبليغي، مثال ذلك: عندما نقول أَكَلَ الطَّعَامَ زَيْدٌ (بتأخير الفاعل)، نحن هنا غَيَّرنا التركيب لأن الطَّعَامَ مركز الاهتمام (بؤرة. الوظيفة التداولية) التي فرضت على البنية التركيبية شكلها الظاهر.

كما و يرى المتوكل أن الخصائص البنيوية (الأصوات، الصرف، النحو) هي مجرد وسائل لبلوغ أهداف تواصلية، أي أن التداولية عنده هي التي تقود النحو وليست ملحقة به.

فتعريف المتوكل للنحو الوظيفي يستند إلى رؤية شمولية ترفض اختزال الظاهرة اللغوية في أبعادها الصورية المحضة. فهو يرى أن الوظائف التركيبية كالفاعلية والمفعولية تظل كيانات ناقصة ما لم يتم ربطها بالوظائف الدلالية والتداولية.

وبناءً على هذا التصور، يصبح النظام اللغوي شبكة علائقية تُصاغ فيها البنى التعبيرية وفقاً للمقاصد التفاعلية والمتطلبات المقامية، مما يجعل اللغة كائنا حيويًا يتشكل وفقاً لما يقتضيه حال المخاطب وسياق التواصل.

وهنا وجب التنويه إلى أن النحو الوظيفي في جوهره ظل وصفيًا تداوليًا أكثر من كونه عصبيًا أو إدراكيًا، إذ يفترض وجود مسار اشتقاقي: حملي - وظيفي - مكوي، دون تقديم أدلة مختبرية من علم النفس اللساني تثبت أن العقل البشري يتبع هذه الخطوات بالترتيب نفسه.



- ثغرة الخزينة تصور الخزينة الذاكرة اللغوية مخزنا ثابت للمحمولات والحدود وقواعد التكوين، في حين أن الذاكرة البشرية تعمل وفق نماذج عرفية متداخلة.

-أحادية الموقع: يفرض النموذج قيда ذهنيا يسمى أحادية الإسناد: بمعنى لا يحمل المكون أكثر من وظيفة من نفس النوع، فهل العقل يلتزم فعلا بهذا القيد الصارم أثناء التدفق التلقائي للكلام، أم أن العمليات الذهنية أكثر تشابكا وتحمل دلالات متعددة في آن واحد؟

(2) الهندسة البنيوية في النموذج الوظيفي

يرى النحو الوظيفي أن بنية الجملة هي البنية الأساس، وأن بنية النص ليست إلا إسقاطا لبنية الجملة، ويرى سيمون ديك أن النحو الوظيفي لا يمكن أن يكون نحو جملة؛ وذلك نظرا لتوجهه الوظيفي التداولي، فهو نحو خطاب واصفا ومفسرا للملفوظ والمكتوب اللغويين³.

لا ينظر النحو الوظيفي إلى العبارة اللغوية بوصفها قالبا جامدا، بل كمنتج نهائي لمسار اشتقاقي معقد. فبينما يكتفي النحو الصوري بوصف الجملة كبنية مستقلة، يرى سيمون ديك أن الجملة هي وحدة خطائية صغرى، هذا يعني أن الفصل بين نحو الجملة ونحو الخطاب هو فصل إجرائي فقط، لأن أي ملفوظ لا يكتسب شرعيته إلا إذا استجاب لمقتضيات المقام التواصلية.

إن إنتاج المعنى في هذا النموذج يمر عبر بروتوكول اشتقاقي له ثلاثة مستويات:

- المستوى التصوري (الحلمي): تمثيل الواقعة دلاليا.
- المستوى التفاعلي (الوظيفي): توزيع الأدوار وتحديد وجهة النظر.
- المستوى الإنجازي (المكوني): الصب في قوالب صوتية وصرفية.

1.2 / البنية الحملية: من الخزينة إلى النواة الدلالية

تبدأ الرحلة اللغوية مما يسمى بالخرزينة The Fund، وهي المستودع الذي يضم المادة الخام : المحمولات والحدود.



دينامية المعجم :يشتمل المعجم على قواعد تكوين التي تتيح للمتکلم اشتقاق صيغ جديدة مثل : اشتقاق استكتب من كتب، مما يضمن حيوية اللغة وإنتاجيتها.

أ- تشريح البنية الدلالية:

تتشكل النواة الدلالية من محمول (فعل أو صفة) وحدود (أشخاص أو أشياء)، ويفرق النموذج بين نوعين من الوقائع:

- الفعل الإرادي Action : حين يكون الفاعل مُنفذاً واعياً، نحو: شَيّد المهندسُ صرحاً، فالمهندس هنا هو المحرك الواعي للحدث.
- الحدث الطبيعي Event حين يكون الفاعل قوة غير عاقلة، نحو: جرف السيّل القنطرة، فالسيل هنا قوة طبيعية أحدثت تغييراً.

ب- الموضوعات واللواحق:

تتوزع الأدوار داخل الإطار الحملي إلى:

- عناصر جوهرية Arguments : لا يقوم المعنى بدونها، نحو: الواهب، الموهوب له، الشيء الموهوب، في فعل أعطى.
- عناصر ظرفية Satellites : تُضيف معلومات ثانوية ، نحو: زمان، مكان، سبب، كقولنا : كَرّم المديرُ المتفوقينَ (حدود جوهرية) مساءً في النادي (لواحق).
- وعلى هذا يرى المتوكل بأن هذا المعجم هو الذي يتولى تزويد المتكلم بالأطر الحملية، والحدود الأصول⁴ ، فالأطر الحملية نوعان؛ أطر حملية أصلية، وأطر حملية مشتقة.⁵
- أطر حملية أصلية: معرفة المفردات الأصول
- أطر حملية مشتقة: معرفة نسق الاشتقاق

ب/ قواعد تكوين المحمولات والحدود: يقصد بها الطريقة التي يتم بها الاشتقاق، ويجب أن

تتوفر فيها خاصيتان مهمتان هما:

- الربط بين مفردات متواردة تزامنيا؛ أي في المرحلة نفسها من مراحل تطور اللغة.
- أن تكون المفردات الناتجة عنها مجموعة غير محصورة العناصر؛ أي أن تكون قاعدة منتجة.



إذن فنتائج المعجم وقواعد التكوين إطار حملي يمثل للخصائص الدلالية، وهذا الإطار الحملي هو المصدر لبناء البنية الحملية التامة التحديد التي تتم عبر المراحل الآتية: البنية الدلالية للجملة ثم قواعد إدماج الحدود ثم بنية حملية تامة التحديد
ج/ البنية الدلالية للجملة: تقوم على: محمول وحدود

-محمول: يدل المحمول على واقعة مثل: عمل: شرب عليّ اللبن، أو حدث: فتحت الريح الباب، أو وضع: جلس خالد على الكرسي، أو حالة: سُرّت البنْتُ بثوب العيد، ويدخل في هذه المحمولات المشتقات .

والفرق بين المحمول الدال على عمل والمحمول الدال على حدث ، أن المحمول الدال على عمل يأتي بعده منفذ (انسان /فاعل منطقي) أما المحمول الدال على حدث فيأتي بعده قوة (فاعل نحوي) نحو : قرأ عليّ كتاباً ، قرأ محمول دل على عمل لأن عليّاً منفذ قلعت الريح الأشجارَ، قلعت محمول دال على حدث لأن الريح قوة.

- حدّ يدل الحد على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها في المحمول، وهي صنفان:

-حدود موضوعات تسهم في تعريف الواقعة ذاتها (الحد المنقّذ، والحد المتقبّل، والحد المستقبل)؛ وعليه فجملة : أكلَ زيدُ اللحمَ، تشتمل على حدين؛ المحمول الفعلي: (أكل)، الحدان: المنفذ (زيد)، والمتقبل (اللحم)، وقد يكون للمحمول ثلاثة حدود موضوعات، كما في الجملة: منحَ المؤسّرُ المسكينَ وظيفةً ؛ المحمول الفعلي: (منح)، الحدود: المنفذ (المؤسّر)، المستقبل (المسكين)، المتقبل (وظيفة).

-حدود لواحق لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث الزمان والمكان والحال، كما في الجملة الآتية: أهدى المعلمُ التلميذَ قِصَّةً صَبَاحاً في مَكْتَبَةِ المدرّسةِ ؛ المحمول الفعلي: (أهدى)، والحدود الموضوعات: المنفذ (المعلم)، المستقبل (التلميذ)، المتقبل (قِصَّةً)، الحدود اللواحق: مخصص زماني (صَبَاحاً)، مخصص مكاني (في مَكْتَبَةِ المدرّسةِ).

وعليه فالبنية العامة للحمل في النحو الوظيفي تقوم على: محمول، وحدود موضوعات،



وحدود لواحق، وعلى ما سبق فإن المحمولات تصنف إلى: محمولات أحادية (ذات موضوع واحد)، محمولات ثنائية (ذات موضوعين)، محمولات ثلاثية (ذات ثلاثة موضوعات). إذا كان المحمول لا يتضمن إلا حدودَ موضوعات فإنه إطار حملي نووي، وإذا اشتمل على حدود موضوعات، وحدود لواحق كان إطارا حمليا موسعا.⁶

مثالها: رسم الطفل زهرة جملة ذات إطار حملي نووي

وصل الطالب إلى القاعة جملة ذات إطار حملي موسع

د/ قواعد إدماج الحدود: وتتم بانتقاء من بين المداخل المعجمية الممثل لها في المعجم، أو الناتجة عن قاعدة تكوين الحد الملائم فيدمج في الحد المعدّ له، فينتج لنا البنية الحملية الجزئية.

هـ/ بنية حملية تامة التحديد:

تتم عن طريق؛ قواعد تحديد مخصص المحمول من صيغة (التدليل).

- وجهة: (تامة/ غير تامة، مستمرة/ غير مستمرة، مشروع فيها، مقارنة).

- وزمن: (ماض، وحاضر، ومستقبل)⁷

- وقواعد تحديد مخصصات الحدود وهي؛ التعريف، والتنكير، والعدد، والإشارة، والجنس⁸. وبتطبيق قواعد تحديد مخصص المحمول، ومخصصات الحدود نحصل على بنية حملية تامة التحديد.

والملاحظ هنا أنه في اللغة العربية، قد تكون اللواحق مثل المفعول المطلق أو الحال، هي البؤرة الحقيقية للملفوظ، لذا أنا اقترح هنا إعادة تقييم مركزية اللواحق في الجملة العربية البلاغية.

2.2. / البنية الوظيفية: إسناد الأدوار الثلاثية

تتكفل داخل البنية الوظيفية الخصائص الوظيفية بنقل البنية الحملية التامة التحديد إلى بنية وظيفية بتطبيق مجموعتين من القواعد؛ قواعد إسناد الوظائف، وقواعد تحديد مخصص الحمل.

في هذه المرحلة، تُلبس النواة الدلالية حلّة تواصلية عبر إسناد ثلاث مجموعات من الوظائف:

- الوظائف الدلالية: تحدد من فعل ماذا؟ (منفذ، متقبل، مستفيد).



- الوظائف التركيبية: تحدد منظور العرض (فاعل، مفعول).
- نحو قولنا: استلم الطالب الجائزة، المنظور الرئيس هو الطالب (فاعل)، أما في أسُلمت الجائزة، فقد نقلنا المنظور إلى الجائزة (فاعل نحوي لكنه متقبل دلالي).
- الوظائف التداولية: هي بوصلة الاهتمام، وتنقسم إلى:
- وظائف داخلية: مثل البؤرة التي يقصد بها المعلومة الجديدة التي نريد إبرازها والمحور الذي يعني الموضوع الذي نتحدث عنه، نحو: خالدٌ سافر. فخالد هنا هو المحور، أما في جواب من سافر؟ فنقول: سافر خالدٌ، فخالد هنا بؤرة.
- وظائف خارجية: وهي المكونات التي تقع خارج هيكل الجملة الأساسي لتنظيم الخطاب، مثل:
- المبتدأ Theme : يمهّد للموضوع ، نحو : يا هندُ، الرسالة وصلت.
- الذيل Tail : يأتي كاستدراك أو توضيح، نحو : وصل الضيفُ، أخوك.
- المنادى Vocative : لجذب الانتباه قبل إلقاء الحمل.

أ/ الوظائف التركيبية: منظورات العرض والترابعية اللسانية

تحدد الوظائف التركيبية في النموذج الوظيفي ضمن ثنائية : الفاعل والمفعول، وهما وظيفتان غير كليتين لكونهما وسيلتين تختلف اللغات الطبيعية في اعتمادهما لتحديد وجهة النظر التي تُقدّم من خلالها الواقعة، ويمكن تحليل هذه الآلية وفق المنظورات الآتية:⁹

- استراتيجية الانتقاء والمنظور: عندما تُعبّر البنية الحملية عن واقعة ما فإنها لا تكتفي بسرد الأدوار الدلالية، بل تختار زاوية رؤية محددة، يتم اختيار أحد الحدود ليكون منظوراً رئيساً Primary Perspective تُسند إليه وظيفة الفاعل، بينما قد يُختار حد آخر ليكون منظوراً ثانوياً Secondary Perspective تُسند إليه وظيفة المفعول، أما بقية الحدود التي لا تساهم في صياغة هذا المنظور فتظل حدوداً غير وجهية مجردة من أي وظيفة تركيبية.



- دينامية التحويل الوظيفي: يتجلى الفارق بين المنظورين في التغيير البيوي للملفوظ، ففي قولنا: ناقش الباحث رسالته، مُنح الباحث (المنفذ) دور المنظور الرئيس، أما في قولنا: نوقشت رسالة فقد تم نقل المنظور الرئيس إلى الرسالة (المتقبل)، مما أدى لتغير البناء الصرفي والتركيبى للجملة.

- تراتبية الإسناد الدلالي: اسناد الفاعل والمفعول مرتبط بنوعية الوظائف الدلالية في البنية الحملية: فوظيفة الفاعل تمثل القمة في هرم المنظور، وتُسند إلى المنفذ أو المستقبل أو المتقبل تبعاً للوجهة التي يختارها المتكلم لتصدير الواقعة، أما وظيفة المفعول فتُمثل المنظور الثانوي، وتُسند عادةً إلى الوظائف الدلالية التي تلي الفاعل في الأهمية التداولية داخل الحمل، مثل: المتقبل أو المستقبل.

ب/ التراتبية الدلالية: أدوار الحدود وتصنيف الوقائع

تُمثل الوظائف الدلالية في الجهاز الواصف للنحو الوظيفي شبكة العلاقات التي تربط الموضوعات واللواحق بالواقعة التي يشير إليها المحمول، فهي تحدد البصمة الدورانية لكل حدّ داخل الإطار الحلمي، ما يسمح بتصنيف الواقعة: حدث، حالة، عملية...¹⁰

ويمكن صياغة هذه الأدوار وتمثيلها وفق الآتي:

- **الموضوعات (الأدوار المركزية):** هي المكونات اللصيقة بطبيعة المحمول وتتنوع حسب درجة انخراطها في الفعل ويندرج ضمنها:
 - **القوة Force:** عندما يكون المسبب كيانا غير عاقل أو طبيعيا يمارس تأثيرا ماديا، نحو قولنا: اجتأح الإعصار الساحل.
 - **المنفذ Agent:** هو الدور الذي يضطلع به كيان عاقل يمارس الفعل طوعية مثل: أنهت الباحثة دراستها.
 - **المتقبل Recipient:** يمثل الوجهة التي ينتقل إليها المحمول أو النفع، نحو قولنا: أهدت مريم أمها وردة.
 - **المستقبل Beneficiary:** الحد الذي يستقر عنده الأثر المادي أو المعنوي للواقعة.



- **اللواحق (الأدوار الهامشية):** وهي حدود اختيارية تساهم في تبيئة الواقعة ضمن سياقاتها الظرفية والعلىّية وهي محددات الإطار ويندرج ضمنها:
- الامتداد الزمني والمكاني: ترسم الحدود الجغرافية والزمنية للحدث مثل: غادر المسافر فجرا.
- المسوغات: العلة والهدف: توضح الدوافع المحركة للواقعة أو الغايات، مثل: سهر الطالب طلباً للنجاح (هدف)، أو تعثر المشروع لنقص التمويل (علة).
- إن إسناد هذه الوظائف يتم في مرحلة مبكرة داخل البنية العملية، حيث تلتصق الوظيفة الدلالية بالحد بناءً على الخصائص الانتقائية للمحمول، ما يجعلها الموجه الأساس لعمليات الإسناد التركيبي (فاعل أو مفعول) في المراحل اللاحقة.

ج / الوظائف التداولية: هندسة المعلومات ومقتضيات التواصل

- تعد الوظائف التداولية المحرك الأساس لإعادة ترتيب مكونات الملفوظ بما يتوافق والقصد التواصلية والحالة المعرفية للمخاطب، وتتوزع هذه الوظائف تبعاً لموقعها من النواة العملية إلى مستويين:¹¹
- **الوظائف التداولية الداخلية (ضمن بنية الحمل):** هي التي تعيد صياغة المحتوى الخبري بناءً على ما يجمله أو يتوقعه السامع، وتنقسم إلى:
- **البؤرة Focus:** تمثل ذروة المعلومات في الملفوظ لأنها تحمل القيمة الخبرية الأعلى التي يسعى المتكلم لترسيخها في ذهن السامع سواء كانت معلومة جديدة أو تصحيحاً لخطأ.
- وتتشكل البؤرة من حيث طبيعتها إلى بؤرة جديد لإضافة معلومة، وبؤرة مقابلة لإزالة اللبس.
- أما من حيث نطاقها فقد تنصبُّ على مكون محدد أو تستغرق الجملة بكاملها.
- **المحور Topic:** هو المكون الذي يقع عليه الاختيار ليكون موضوعاً للحديث، ويمثل النقطة المرجعية التي يركز عليها الخبر.
- إن توزيع هذه الوظائف هو استجابة مباشرة للوضع التخاطبي بين طرفي الخطاب أين يتم توجيه الاهتمام نحو المكونات الأكثر صلة بالسياق التواصلية.



- الوظائف التداولية الخارجية (خارج بنية الحمل) : هي العناصر التي تقع في حواشي

الجملة لتمهيد السياق أو تأطير الخطاب، وتشمل:

-المبتدأ Theme : هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يُعد الحُمل بالنسبة إليه واردةً، مثل: (سعيدٌ، جاء أخوه)، الجملة تتكون من ركنين؛ حمل: (جاء أخوه)، ومبتدأ: (سعيد)، وهو الذي يحدد المجال الذي يعد إسناد مجموع الحمل إليه واردةً؛ بمعنى أن يكون المبتدأ صالحاً للإحالة على ما بعده، ويكون المخاطب قادراً على التعرف على ما يحيل إليه المبتدأ، فالإحالة على المجهول لا يفيد؛ فهو لحن تداولي.

وتحدد ماهية المبتدأ في النحو الوظيفي بوصفه المكون الذي يرسم الإطار المرجعي للخطاب، وبناءً عليه يكتسب الحُمل لاحقاً مشروعيتيه التبليغية، ففي تركيب مثل: (سعيدٌ، جاء أخوه)، يبرز (سعيد) كعنصر خارجي يمهّد للمجال الذي سيتحرك فيه الخبر، ويشترط في هذا المكون أن يمتلك قدرة على الإحالة الواضحة بأن يكون المتلقي قادراً على تمييزه ومعرفته، أما إذا كان المبتدأ مجهولاً، فإن عملية الإسناد تتعطل وتفقد الجملة كفايتها التواصلية، وهو ما يُعرف في الأدبيات الوظيفية باللحن التداولي.¹²

-الذيل: هو الذي يوضح معلومة داخل الحمل أو يعدّلها أو يصحّحها؛ فالذيل على هذا ثلاثة:

ذيل توضيح، وذيل تعديل، وذيل تصحيح، ويكون ذلك وفقاً طبقاً لإنتاج الخطاب حسب

مقاماته التي ترد فيها، مثل: (بيتُّها نظيفٌ، زينبُ)، (فاز، المتسابقان)،

(أعجبني زيدٌ، خلُّهُ)، (أخطئُ الثوبَ، نصفهُ)، (قابلت اليوم زينبَ، بل سعاد).

والواضح من خلال الأمثلة السابقة أن المتكلم يعطي المخاطب كلاماً ثم يدرك أنه ليس

هو المقصود فيوضحه أو يعدّله أو يصحّحه:

- التوضيح: ويأتي في موقف تواصلٍ يعطي فيه المتكلم معلومة ثم ينتبه أنها غير واضحة

فيوضحها بإيراد الذيل كقولنا: (بيتُّها نظيفٌ، زينبُ)

-التعديل: ويأتي في موقف تواصلٍ يعطي فيه المتكلم معلومة ثم ينتبه أنها غير دقيقة فيسوق

الذيل للتعديل، كقولنا: (أعجبني زينبُ، خلُّها)، (أخطئُ الثوبَ، نصفهُ)



- **التصحيح:** ويأتي في موقف تواصل يغطي فيه المتكلم معلومة ثم يلاحظ أنها غير صحيحة فيسوق الذيل للتصحيح، كقلنا: (قابلت اليوم زينب، بل سعاد).

ولكن: هل يغطي الذيل كل وظائف التوابع في العربية؟

- **البدل: بدل البعض من الكل والاشتمال:** في النحو الوظيفي الذيل يأتي لتوضيح معلومة سابقة أو تعديلها، نحو: أعجبني محمد، حُلُّهُ ، هنا يتطابق الذيل مع بدل الاشتمال ، لأن المتكلم أورد محمداً ثم أدرك أن القصد يحتاج لتخصيص فأورد الذيل خلقه بعد فاصلة .

لكن في جملة: جاء الأمير خالد؟ هنا خالد لا يقع خارج البنية الحملية ولا يفصله فاصل أدائي - نبر أو سكتة- ، بل هو مندمج تركيبياً، فالذيل هنا قد يقصر عن تفسير الاندماج التركيبي القوي للبدل المطابق .

-**النعت:** نحو : عرفنا رجلاً كريماً ، في النحو الوظيفي، كريماً محصص Modifier داخل الحد (Term) نفسه، وليست ذيلًا.

-**التوكيد:** نحو : جاء المعلّم نفسه ،إذا عدنا التوكيد ذيلًا، فإنه ينجح في تفسير ذيل التوضيح، لكن في قواعد العربية التوكيد يتبع متبوعه في الإعراب مباشرة دون فصل تداولي إلزامي، لذا أرى أنّ النحو الوظيفي يواجه صعوبة في تصنيف التوكيد اللفظي نحو: جاء عليّ عليّ، ذيلًا، لأن التكرار قد يكون بؤرة لتقوية المعلومة .

-**عطف البيان:** نحو: أقسم بالله أبو ترابٍ عليّ

هنا يرى المتكلم أن الإحالة على المجهول لحن تداولي ، فإن (عليّ) هنا هو البؤرة، وهنا يلتبس الأمر: هل هو ذيل لأنه يوضح أو بؤرة لأنه يقدم المعلومة الأهم ؟

إذن الذيل في النحو الوظيفي يغطي فقط التوابع التي تأتي في موقع خارجي ويفصلها عن الجملة فاصل زمني أو نبري نحو: بدل الاستدراك، أما التوابع المندمجة إعرابياً وتركيبياً : كالصفة والتوكيد وبدل الكل، فإنها تظل منطقة شائكة تعجز وظيفة الذيل عن استيعاب كامل خصائصها التركيبية في العربية، مما يستدعي إعادة النظر في قواعد الموقعة لتشمل هذه التوابع داخل البنية المكونية لا خارجها.



المنادى: تسند وظيفة المنادى إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معين¹³ ؛ فهذه الوظيفة تسند إلى المكوّن الدال على الكائن المدعو¹⁴ ، مثل: يا أحمد، جاء أخوك، ف(أحمد) المنادى أو الكائن المدعو.

ويؤكد المتوكل ضرورة التمييز بين النداء بعدّه فعلا لغويا والمنادى بعدّه علاقة ووظيفة يرتبط إسنادها بالمقام، فهما يتلازمان إذ متى ما ورد النداء (الفعل الكلامي) ورد معه المنادى (الوظيفة).

3.2. / المظهر الإنجازي (البنية المكوّنية): من التجريد إلى الملفوظ المادي

تمثل البنية المكوّنية المخطط النهائية في المسار الاشتقاقي للملفوظ، حيث تتحول الأطر المجردة إلى كيان لغوي ملموس عبر تفعيل قواعد التعبير. إنّها اللحظة التي يخرج فيها الملفوظ من حيز التصور الذهني ليتجسد في قالب صرفي وتركيبى وصوتي محدد.

ويمكن تفصيل هذه الصيرورة عبر المستويات الآتية:¹⁵

- التّوضع الصرفي المزدوج: يعالج النحو الوظيفي الصرف في مسارين؛ الأول (اشتقاقي) يحدث في المرحلة الأساس لتوليد أوزان فرعية من أصول معجمية، والثاني (تصريفى) يمنح المحمول صورته النهائية.

- القالب الصرفي والزمني: في هذه المرحلة يتم تبيئة المحمول ضمن سياق زمني: ماضٍ أو مضارع مع ضبط مطابقة النوع والعدد لتلائم مقتضيات الجملة.

- وسم القوة الإنجازية: يتم تزويد البنية بالأدوات الوظيفية التي تحدد نمط التواصل، سواء كان استفهاماً أو تعجباً أو تنيئاً، عبر إدراج مؤشرات: هل، لعل، ليت، أو مجرى مجراها التي تمنح الجملة قوتها التخاطبية.

- آليات الموقع والدينامية التداولية: تخضع الكلمات لترتيب تراتبي داخل الجملة وفق قواعد الموقعة، حيث لا يكون الترتيب اعتباطياً بل محكوماً بالأولويات التداولية. فاللغة العربية مثلاً: تتيح تقديم المفعول به ليتصدر الجملة إذا ما استوجب المقام جعله بؤرة للاهتمام، كما في أسلوب الحصر: إياك أعني.



- النبر والتنغيم (الهندسة الصوتية): يكتمل الإنجاز المادي للملفوظ بإسقاط السمات الصوتية، حيث يُسند النبر للمكونات التي تمثل مركز الثقل التداولي وهي البؤرة ، ويُحدد التنغيم المسار الدلالي للجملة لتمييز الخبر عن الإنشاء، فمثلا :إذا كان السؤال: مَنْ سافر؟ يكون النبر على كلمة صالح ، و(صالح) هو البؤرة ، لأنه يمثل المعلومة الجديدة التي يجهلها السامع، وإذا كان السؤال: ماذا فعل صالح؟ ينتقل النبر إلى كلمة سافر، لأن الفعل هنا هو مركز الاهتمام التداولي، - أما التنغيم فيتحكم في المسار الدلالي الإجمالي للملفوظ لتحديد القوة الإنجازية ويكون :

- التنغيم خبريًا :عندما تنطق سافر صالح ، بنغمة مستقرة تنخفض في نهايتها.

- التنغيم استفهاميًا :عندما تنطق سافر صالح ؟ بنغمة حادة في النهاية، فتتحول الجملة من خبر إلى إنشاء دون حاجة لاستخدام أداة استفهام ، وذلك بسبب مؤشر القوة الإنجازية الصوتي.

من أجل ذلك لا يكتمل الإنجاز المادي للملفوظ في النحو الوظيفي إلا بالنبر الذي يُحدد البؤرة والتنغيم اللذان يحددان نوع التواصل اخباريًا أو انشائيًا، وبتطبيق قاعدتي النبر والتنغيم تصبح البنية المكونية بنية تامة التحديد يمكن أن تشكل مدخلا مهمًا للقواعد الصوتية التي تنقلها إلى جملة محققة أثناء الفعل الكلامي.

خاتمة

أستطيع القول تأسيسًا على ما سلف أن النحو الوظيفي أحدث اختراقًا إبستمولوجيًا في الفكر اللساني المعاصر، إذ نقل الظاهرة اللغوية من دائرة التجريد الصوري إلى فضاء الفعالية التخاطبية، ولم تكن جهود أحمد المتوكل مجرد نقل لنظرية سيمون ديك، بل كانت إعادة قراءة واعية استطاعت تبينة المفاهيم الوظيفية داخل بنية اللغة العربية.

وخلصتُ إلى مجموعة من النتائج المحورية، أبرزها:

- تلازمة البنية والوظيفة: إن الملفوظ اللغوي ليس تراكمًا عشوائيًا للمفردات، بل هو هندسة دقيقة يقودها المقصد التداولي، حيث تظل المستويات التركيبية والدلالية خاضعة لهيمنة الغرض التواصلية.



- شمولية الخطاب أثبت المقال أن وحدة التحليل في النحو الوظيفي تتجاوز حدود الجملة المعزولة لتشمل الخطاب بمختلف سياقاته ومقاماته، مما يجعل التأويل عملية تفاعلية تشترط استحضار القرائن الحالية والمقالية.
- تراتبية المسار الاشتقاقي: من خلال تتبع الرحلة من الخزينة (البنية الحملية) وصولاً إلى الإنجاز المكوّن، يتضح أن اللغة نظام مُقيد ومرن في آن واحد، فهو مقيد بقواعد النسق ومرن باستجابته لمتطلبات المتكلم والمخاطب.
- التقاطع مع التراث: يفتح هذا المقال آفاقاً واعدة لإعادة استنطاق الموروث البلاغي والنحوي العربي بخاصة نظرية النظم، برؤية لسانية وظيفية معاصرة، مما يردم الفجوة بين الدرس القديم والمناهج الحديثة.
- إن القيمة المضافة لهذا النموذج اللساني تكمن في قدرته على تحقيق الكفاية التواصلية عبر ميزان دقيق يجمع بين الصرامة القواعدية والحيوية التداولية، مما يجعله الأداة الأنسب لكشف أسرار الإعجاز والبيان في اللغة العربية.

مصادر البحث ومراجعته:

- ¹ أحمد المتوكّل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، (د.ت) ، ص64
- ² أحمد المتوكّل ، من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب ، ط1 ، 1987، ص5.
- ³ أحمد المتوكّل ، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع ، ط1، الرباط، المغرب، 2003، ص97.



- ⁴ عبد الفتاح الحموز، نحو اللغة العربية الوظيفية في مقارنة احمد المتوكل، دار جرير للنشر والتوزيع ،ط1، عمان، الأردن 2012، ص93-94
- ⁵ المرجع نفسه ، ص96-97
- ⁶ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص143-145.
- ⁷ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص146.
- ⁸ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، ص147-148.
- ⁹ ينظر. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، ص150 و ص19. وينظر. عبد الفتاح الحموز، نحو اللغة العربية الوظيفية في مقارنة احمد المتوكل، ص470 و ص490 وينظر. أحمد المتوكل ،من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول ،ص19-20
- ¹⁰ أحمد المتوكل ،من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول ،ص16
- ¹¹ ينظر. أحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ،ص95 . وينظر. أحمد المتوكل ،من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول ،ص109. وينظر. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الرباط، المغرب ، ط1 ، 1985، ص28 و69
- ¹² أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص119-120
- ¹³ المرجع نفسه ، ص160
- ¹⁴ المرجع نفسه ، ص162
- ¹⁵ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص160-181